سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٦٣/ ٩)

دروس رمضانية (٩)

بيان كثير من المستحبات – القسم الأول

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

د. مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حَفِظَهُ اللهُ-

المُدرِّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

ألقاه فضيلته بعد عصر الاثنين، ١٥ رمضان ١٤٤٥هـ

في مسجد بدري العتيبي بالمدينة النبوية

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

لَأَنصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[1]، يقسم الله بعزَّته سبحانه، وبجلاله سبحانه أن ينصرها، وتأملوا ما في اللفظ: «**وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»، فعلى العبد المؤمن إذا ظُلِم ودعا الله ألا يستعجل؛ فإنَّ الله ﷻ يُصَرِّح في هذا الحديث القدسي -هذه القطعة من الحديث قدسية- فإنَّ الله يقول: «**وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنصُرَنَّكِ**»، فهل سيتخلَّف نصر المظلوم؟ لا والله، لكن هل هو الآن؟ هذا أمر بيد الله، فينبغي للمظلوم إذا دعا برفع ظلامته أو الظلم عنه ألا يستعجل، كيف يستعجل؟ يقول كما قال النبي ﷺ: «**دَعَوْتُ وَدَعَوْتُ، فَلَا أُرَاهُ يُسْتَجَابُ لِي**»[2]، أو: «**فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي**»[3]، أو: «**ثُمَّ أُرَاهُ لَا يُسْتَجَابُ لِي**»، قال -عليه الصلاة والسلام-: «**فَيَدَعُ الدُّعَاءَ**»[4]، وهذا من الغلط، وهذا من تلاعب الشيطان بابن ادم، فيأتيه ويأتيه بمثل هذه الوساوس: هذا أنت تدعو الليل والنهار ما حصل لك ولا شيء! يحصل هذا، هذا يحصل عند بعض الناس فيجده في نفسه، فالشيطان يريد منه أن يدع هذا الدعاء الذي هو من أجلِّ العبادات، فإنَّ الله ﷻ يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦] إلى غير من الآيات الواردة في الدعاء، ولا نستطيع حصرها، ولا الأحاديث الواردة في الأمر بالدعاء في مثل هذا الموضع، ومن أشهرها: «**الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ**»[5] فنِعْمَ السلاح هو، فلا تدع الشيطان ينزع منك سلاحك، فإنَّ أعدى عدوك الشيطان، أول ما ينبغي لك ويجب عليك أن تدعو الله أن يعيذك منه.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٨٠٤٣)، وابن ماجه في «سننه» برقم (١٧٥٢)، والترمذي في «جامعه» برقم (٣٥٩٨)، وينظر: «الصحيحة» للألباني (٢/ ٥٢٧) برقم (٨٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٧١١)، وصححه الشيخ الألباني.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٣٤٠)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٧٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٦٥٥)، وصححه الشيخ الألباني.

(٥) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» برقم (٤٣٩)، وغيره، وفيه كلام.

وهذا الحديث الذي سمعتموه مُخَرَّجٌ عند الترمذي، وعند الإمام أحمد، وهو حديث حسن، قد حسَّنه جمع من أهل العلم، فهو ثابت عن رسول الله ﷺ.

وتقدَّم معنا في أحاديث الفضائل في هذا الشهر: «**إِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ**» يعني في رمضان «**دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**»، ففي كل اليوم وفي كل الليل ودعوات الصائم مستجابة، ففي جميع أوقات رمضان الدعاء مجاب بنصوص عن رسول الله ﷺ كما تقدَّم معنا أيضًا في حديث جابر: «**إِنَّ للهِ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ**» يعني في رمضان «**وَلِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**»(١)، هذا تقدَّم معنا في أول الشهر، فإذا كان هكذا حال الدعاء في شهر رمضان خاصة في ليله ونهاره، فهل بعد هذا يتساهل فيه الإنسان ويغفل عنه ويدع الدعاء؟!

نحن الآن ننظر ساعات الإجابة، رمضان نهاره كله وليله كله لك فيه دعوة مستجابة، ولا تدري يفتح الله بهذه الدعوة عليك الخير الكثير، ويدفع الله بها عنك الشر الكثير، فلا تتوانى يا عبد الله، فإنَّ المحروم من حُرِم مثل هذا الفضل في مثل هذا الوقت الفاضل.

هذه الأحاديث كلها تشهد للحديث المشهور الذي كلما ذكرناه قالوا لنا: ضعيف! ضعيف! ضعيف! نعم ضعيف الإسناد بهذا الطريق، لكن معناه ثابت يا ناس، ولهذا؛ فلا تنكروا على الفقهاء إذا أكثروا من ذكره، وأنا أردت بإيراده التنبيه عليه؛ لأنَّ أكثر المتكلمين من فقهاء المسلمين في رمضان يذكرونه، وأكثر المتحذلقين يتعجَّلونه، وهو حديث: «**إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةً مَا تُرَدُّ**»(٢)، هذا الحديث بهذا اللفظ هو عند ابن ماجه، مشهور، وسنده فيه ضعف، لكن الأحاديث السابقة التي سمعناها الآن وتقدَّمت معنا في فضائل رمضان وفي فضل الدعاء تؤيده: «**لَهُ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**» الأحاديث السابقة، ما معنى دعوة مستجابة؟

---

(١) أخرج ابن ماجه في «سننه» برقم (١٦٤٣) من حديث جابر: «إِنَّ لله عز وجل عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ»، وأخرج أحمد في «مسنده» برقم (٧٤٥٠) من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد: «إِنَّ للهِ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَلِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ».

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم (١٧٥٣).

أليس هو معناه: دعوة ما ترد! أجيبوني! أجيبوا -معاشر الأحبة- قول النبي ﷺ: «**عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**» أليس هو معناه: «**عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةً مَا تُرَدُّ**» أسألكم؟ أليس المعنى هو؟ هو.

فينبغي -يا معاشر الأحبة-: ألا تعجلوا على أهل العلم إذا ذكروا شيئًا بذكركم كلام عالم واحد، فتنسون، أو تتناسون، أو تجهلون كلام أهل العلم الآخرين مجموعين، فإنَّ أهل العلم في مثل هذا الحديث وأمثاله نظروا إليه وإلى ما في معناه، فذكروه؛ لأنه أخصر وأشهر، فمعناه ثابت عن رسول الله ﷺ، فللصائم عند فطره دعوة ما ترد، وله في كل يوم وليلة دعوة ما ترد، كما قال النبي ﷺ، «وثلاثة دعوتهم لا ترد: الصائم حتى يفطر»، فقوله: «حتى يفطر» أليست هي في اليوم كله؟ معنى هذه الجملة: «الصائم حتى يفطر» متى هو صائم؟ أليس هو في النهار؟ فهو بمعنى: «في كل يوم»، فهذا اليوم كله حتى يفطر له دعوة فيه ما ترد.

فالأحاديث -يا معاشر الأحبة- يؤيد بعضها بعضًا، فإذا وجدت مثل ذلك؛ فلا تعجل على مَن أورده، وابحث في مستنده، فلعله وقف على ما لم تقف عليه أنت، هذا ما يتعلق بالدعاء.

وأما [ما يتعلق] بقراءة القرآن؛ فقد تقدَّم معنا بالأمس مجلس مختصر فيه، فلا نكرِّر الكلام ونطيل به عليكم ونأخذ به الوقت.

وأما ذكر الله ﷻ؛ فهذا هو الحصن الحصين، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

فالشاهد: قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَا﴾ فهذا إخبارٌ يفيد التكثير الذي لا نعلمه نحن ولا أنتم، ولا نحصيه، إلا الله ﷻ هو الذي يحصيه، فالعبد إذا كان قد مُدِحَ بهذا المدح وهو بإكثاره لذكر الله -تبارك وتعالى-، فإنه في رمضان ينبغي له أن يهتم بذلك أكثر، فذاكر الله -تبارك وتعالى- مغفور له، والداعي مغفور له، ومستجاب له في رمضان، ومعتوق من النار -كما تقدَّم معنا- في الأحاديث.

فينبغي لنا -معاشر الأحبة-: أن نكثر من ذكر الله، والإكثار من ذكر الله -تبارك وتعالى- في هذا الشهر بتسبيحه، وتحميده، وتهليله، وتكبيره وكل ما فيه ذكر لله -تبارك وتعالى-؛ فيه زيادة لحسناتك، وفيه ترجيح لميزانك، وفيه حفظ للسانك، وفيه صون لصيامك، فيه زيادة لحسناتك، وترجيح لميزانك، وحفظ للسانك، وصون لصيامك، الذكر لله -تبارك وتعالى- في رمضان والإكثار منه ترتاح به من الغيبة، ترتاح به من النميمة، ترتاح به من الزور، ترتاح به من الكذب، تشغل قلبك ولسانك عن النظر إلى المحرم وسماع المحرم، هذا هو صون الصيام، حفظ الصيام، فهذا كله خير، وأجره عظيم، ويحفظ الله ﷻ به عليك عبادتك.

[٤]: **ومما يستحب في رمضان** -الأمر الرابع-: **الإكثار من الصدقة**؛ فإنه قد ثبت في حديث ابن عباس رضي الله -تبارك وتعالى عنهما- «المتفق عليه» قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ...، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ**»[(١)]، الريح المرسلة التي تسوق السحاب فيها الغيث، انظر إلى هذا الخير الذي يأتي منها، ومع ذلك رسول الله ﷺ أجود بالخير من هذه الريح التي تأتي بالمطر بالحياة فتنبت الأرض، ويخرج العشب، وتتزين، ويرعى الناس، وتبتهج نفوسهم، ومع ذلك الرسول ﷺ أجود بالخير في رمضان من هذه الريح المرسلة.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٦)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٣٠٨).

وكان جوده -عليه الصلاة والسلام- يجمع جميع أنواع الجود؛ جوده بتعليم الناس، وإفتاء من أراد الفتوى، إجابة من سأل، جوده -عليه الصلاة والسلام- ببذله لنفسه للناس في قضاء حوائج أصحابه، وعيادة مرضاهم، وزيارة مَن أحب زيارته -عليه الصلاة والسلام- بأن فسح الله له في الوقت ووجد متسعًا فزاره، جوده -عليه الصلاة والسلام- بنفسه في سبيل الله، بالجهاد في سبيل الله، وقتال أعداء الله ﷻ في رمضان كما هو في يوم بدر، وكما هو في فتح مكة، كل هذه كانت في رمضان، فكان يجود -عليه الصلاة والسلام- بنفسه في سبيل الله -تبارك وتعالى-، وهو جواد، بل هو أجود خلق الله أجمعين، لا أحد أكرم منه من ولد آدم ﷺ، فكان يجود بالمال والعطاء، ويعطي عطاء مَن لا يخشى الفقر، وكان يعطي ويربط على بطنه من الجوع -عليه الصلاة والسلام-، جوده -عليه الصلاة والسلام- في هداية العباد بتعليم الجاهل، وتذكير الغافل، وتفقيه من لا يعلم، المراد جوده بجميع أنواع الجود وإيصال النفع والخير إلى أمته ﷺ بكل طريق -عليه الصلاة والسلام-، وكان هذا الجود يتضاعف في رمضان، وذلك لشرف الوقت، فرمضان وقت شريف يا ناس، شهر من اثني عشر شهرًا ما ينبغي تضييعه، شهر من اثني عشر شهرًا كلها لك فيها السعة، ولك أن تأخذ من المباحات والحلالات ما تقوَّى به، وما تُرَفِّه به عن نفسك، إلى غير ذلك، شهر واحد، فلا يفوتك، هذا الشهر احبس نفسك فيه لنفسك، احبس نفسك لنفسك يصل إليك الخير العظيم من ربك -تبارك وتعالى-.

والجمع بين الصيام وإعانة المحتاجين الصائمين بالصدقة عليهم، فيغنى فقيرهم، ويشبع جائعهم، ويتقوَّى ضعيفهم، ويستدُّ عوز مسكينهم؛ هذا أجره عظيم، وقد تقدَّم معنا في فضائل رمضان أنه من أسباب دخول الجنة، كما جاء ذلك في عبد الله بن سلام -رضي الله تبارك وتعالى عنه- حينما ذكر قدوم النبي ﷺ المدينة، فانجفل الناس إليه، وكنت فيمن انجفل إليه، فأبصرت وجهه، فكان أول ما سمعته قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا**

الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[1]، فإطعام الطعام وصلة ذوي القرابة بالإحسان إليهم؛ هذا من أسباب دخول الجنة، كما جاء ذلك أيضًا في حديث «صحيح مسلم» قصة أبي بكر وسؤالات النبي ﷺ الأربعة حينما أصبح ذات يوم، فسأل -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا. فَقَالَ -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا. فَقَالَ -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا. فَقَالَ-عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا. فَقَالَ -عليه الصلاة والسلام-: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»، وهذا الحديث في «صحيح مسلم»[2]، والشاهد فيه هنا قال: «**مَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**»، مسكين واحد، مسكين، مسكين واحد، يعني لو تعطيه نصف دجاجة ونفر من الرز والإدام، كم يكلفك؟ ما يكلفك شيء، وأنت تنفق في الفخر الكاذب آلافًا مؤلفة، وتبخل على نفسك بعشرين ريالاً! فوالله المحروم من حرم هذا يا عباد الله، ولذلك نجد -ولله الحمد- الصائمين في رمضان تجود أنفسهم بإطعام الطعام، فلا تحقروا من المعروف والإحسان شيئًا، ولو كان شيئًا يسيراً، فالرسول ﷺ يقول: «**مَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**»، فالشاهد: إطعام المسكين، إطعام الطعام ولو كان يسيرًا يقع عند ذي الحاجة موقعًا عظيمًا، يدخلك الله به الجنة، وهو فعل يسير، فينبغي المبادرة إلى هذا، فنسأل الله ﷻ أن يعيننا وإياكم على أنفسنا.

وقد تقدَّمت الأحاديث في هذا كثيرة عن رسول الله ﷺ، ومنها الحديث الذي ما أظنكم تنسونه: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفاً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ**» بدأ بإطعام الطعام، «**وَأَلَانَ الْكَلَامَ**» أحسن الكلام مع الناس، ما يكن فاحشًا، ولا

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢٣٧٨٤)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٤٨٥)، وابن ماجه في «سننه» برقم (١٣٣٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ١١٣) برقم (٥٦٩).

(٢) برقم (١٠٢٨).

مُتَفَحِّشًا، «**وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»[1]، هذه الغرف العالية أعدَّها الله لهؤلاء الذين هم صفاتهم، فينبغي لنا -معاشر الأحبة- أن نحرص على هذا الفضل العظيم، فإنَّ ثوابه هذا الثواب الجسيم، بيَّنه رسول الله ﷺ في صحيح سُنَّته، وليكن ذلك بينك وبين ربك، حاول بقدر الإمكان أن يكون سرًا بينك وبين الله، فإنه أدعى إلى الإخلاص، وإذا كان أدعى إلى الإخلاص كان أدعى إلى القبول، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥] إلى آخر الآيات الواردة في هذا.

[٥] **ومما يستحب في رمضان للصائمين: تعجيل الإفطار**، وكثير من الناس يتساهلون خصوصًا أرباب المِهَن، ونُذَكِّر هنا ربَّات البيوت النساء بالذات، يدخل الوقت ويؤذن المؤذن وهي في المطبخ، من صلاة الظهر وهي في المطبخ، ما أدري ما هذه البطون؟ هل هي درامات النفايات هذه الصناديق الكبيرة؟ هو بطن، هو مُصر من الأمصار، وكم في بطن ابن آدم من هذه المصارين والأمعاء؟ يكفيه القليل، يذهب الوقت كله وهنَّ في المطبخ، يذهب عليهن وقت القراءة، يذهب عليهنَّ وقت الذكر، يذهب عليهنَّ وقت الفضل، نُذَكِّر أخواتنا المؤمنات والمسلمات في البيوت بألا يأتي وقت الإفطار إلا وقد أنهينا مهماتهنَّ بوقت كافي؛ حتى لا يفوت عليهنَّ أجر ذلك.

وتعجيل الإفطار يكون بتحقُّق غروب الشمس؛ وذلك إما بمشاهدتها إذا كنت في البرِّيَّة، في البادية، أو على سيف البحر، فإنَّ بعض الناس يطلعون في هذه الأيام الطيبة الباردة إلى البر، أو يذهب في الإجازة إلى البحر، فهؤلاء يرون الشمس بأعينهم، فإذا تحققوا غروب الشمس يستحب لهم التعجيل في الإفطار.

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (١٩٨٤)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢١٢٣).

وهكذا إذا غلب على الظن مغيب الشمس؛ إما بالأذان، وإما بأن ترى ظلمة الليل قد أقبلت، فإنَّ النبي ﷺ يقول: «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا**» وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، «**وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا**» وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَغْرِبِ، «**فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**»(١).

أو يأتيك خبر مَن تثق بخبره، يخبرك يقول لك: أذَّن، أو يخبرك يقول لك: غابت الشمس إذا كنت وإياه في بادية، ونحو ذلك، فهذا كله مما يثبت به غروب الشمس، ويستحب لك حينئذٍ أن تبادر إلى الإفطار، والدليل على هذا الاستحباب حديث سهل بن سعد -رضي الله تبارك وتعالى عنه- «المتفق عليه»(٢) أنَّ النبي ﷺ قال: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**».

وفي هذا -يا عباد الله- حثٌّ على تعجيل الفطر، وفيه إثبات بأنه هو السُّنَّة، وفيه أيضًا مخالفة لأهل الأهواء، بعض أهل الضلال من الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، فإنهم لا يفطرون حتى تشتبك النجوم! عندهم هذا الوقت وقت دخول الفطر، والنبي ﷺ يقول: «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا**» وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، «**وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا**» وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَغْرِبِ «**وَغَابَتِ الشَّمْسُ**» في زيادة أخرى: «**وَغَابَتِ الشَّمْسُ؛ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**»، وهنا النبي ﷺ يقول: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**» فهذا دلالة على الخيرية، وأيضًا فيه بيان بأنه محبوب إلى الله -تبارك وتعالى- كما جاء بذلك الحديث الصحيح، فإنَّ الله ﷻ يقول: «**أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً**»، خرَّجه الترمذي، والإمام أحمد، وهو حديث حسن، حسَّنه الترمذي(٣)، وهو كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ.

فينبغي للمسلم وينبغي للمسلمة وأخواتنا وبناتنا وأمهاتنا في المطابخ ينبغي لهنَّ ألا يضيِّعن هذا الأجر ويفطرن، وإذا أفطرت تبغى تكمِّل مشروع باقي معها طباخة للفجر الله يعينها، لكن لا يفوتها هذا الأجر.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١٩٥٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١٩٥٧)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٠٩٨).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٧٢٤١)، والترمذي في «جامعه» برقم (٧٠٠).

ينبغي أيضًا لرب البيت أن يحرص على زوجته، وعلى بنته، وعلى أخته أن ينلن هذا الأجر، فيذكرهن؛ تعال أفطرن، أفطرن، وإذا بقي شيء عليكنَّ بعد ذلك لكم الليل خذوا التراويح والتهجد كلها في ذا المطبخ -للأسف-، وهذه المطابخ التي نجمع فيها ما لا نطبخ، ونطبخ فيها ما لا نأكل، ثم يُرمى بعد ذلك، ونسأل الله العفو والصفح والمسامحة، وبعض المسلمين في بعض البلدان لا يجد اللقمة التي يقيم بها صلبه، نسأل الله أن يرحم المسلمين، وأن يرحم ضعفهم، وألا يؤاخذنا وسائر إخواننا المسلمين بما نقع فيه من هذا الإسراف.

[٦] **كما يستحب في رمضان -يا معاشر الأحبة-: السحور**، الحرص على السحور، فإنَّ السحور فيه خير وبركة للمسلم للصائم، والسحور هو أكل آخر الليل، وسمي بذلك لأنه يجيء في وقت السَّحَر، قال -عليه الصلاة والسلام-: «**تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً**»(١)، متفق عليه، فأمر -عليه الصلاة والسلام- بالسحور، وندب إليه، فإنَّ الأمر أمر ندب، فالسحور قد أجمع الفقهاء على أنه ليس بواجب، وإنما هو مستحب، ومَن تركه فقد خالف الأولى، وترك سُنَّة النبي ﷺ، وتشبَّه باليهود والنصارى -من أهل الكتاب-، فإنهم لا يتسحرون، نعوذ بالله من ذلك، فلا يشابه أهل الكفر وأهل الضلال، فعليه أن يحرص على هذه الأكلة؛ لأنها من هدي النبي ﷺ، ومن هدي الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

فالسحور بركة، وكونه بركة؛ أي فيه خير من الله -تبارك وتعالى- لك أيها العبد، يُقوِّي الله به جسمك وبدنك على العمل في النهار، كما تقدَّم معنا في حديث صِرمة بن قيس، فإنَّ العبد إذا لم يأكل في الليل يتعب في نهار رمضان، وربما يغمى عليه فلا يقوم بأعماله.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١٩٢٣)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٠٩٥).

فالواجب على المسلم أن يحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ، واتِّباع سُنَّته، وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: «**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ**» خرَّجه مسلم في «صحيحه»(١)، «**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا**» نحن المسلمين «**وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ**».

وقال -عليه الصلاة والسلام- كما في حديث أبي سعيد ﷺ قال: «**السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ، فَلَا تَدَعُوهُ، وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ**»(٢)، وهذا يتصور عند مَن لا عندهم شيء، الأولون ما كانوا يجدون، وحديث صِرمة بن قيس سمعتموه ﷺ، قال: (عندك فطور، عندك طعام؟ زوجته، قالت: لا، لكني اذهب فاطلب لك مع الجيران) ما عندهم شيء، اليوم الزَّوَّادة كلها في بيت كل واحد منا إلا من رحم الله، كارفور كله في بيت كل واحد منا إلا من رحم الله، أشياء لا تؤكل، ومع ذلك يُفَرَّط في أكلة السَّحَر، والأفضل في السحور أن يكون آخر الوقت، وإلا فلو تسحَّر في منتصف الليل ناويًا بذلك السحور، قال شيخ ابن تيمية: (يجزئه ذلك)، لكن الأفضل أن يكون السحور في آخر الليل للحديث الوارد في ذلك عن رسول الله ﷺ وسيأتينا، والنبي -عليه الصلاة والسلام- قد حثَّ حثًّا كثيرًا على السحور، فقال -عليه الصلاة والسلام- أيضًا: «**إِنَّ السَّحُورَ بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمُوهَا اللهُ فَلَا تَدَعُوهَا**»(٣)، «**تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً**»، هنا يقول: «**إِنَّ السَّحُورَ بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمُوهَا اللهُ فَلَا تَدَعُوهَا**».

وقد سمَّاه النبي ﷺ بالغداء المبارك، فقال لبعض أصحابه: «**هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ**»(٤).

وبركته في نواحٍ عدة: منها أنَّ الله ﷻ يعينك على نفسك في القيام في هذا الوقت من الليل، فتذكره، وتحمده، وتشكره، ثم تأكل ما كتب الله لك من هذا الأكل.

---

(١) برقم (١٠٩٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١١٠٨٦)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٦٨٣).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢٣١٤٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٦٣٦).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١٧١٤٣)، وأبو داود في «سننه» برقم (٢٣٤٤)، والنسائي في «سننه» برقم (٢١٦٣)، من حديث العرباض بن سارية ﷺ، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود -الأم» (٧/ ١٠٧) برقم (٢٠٣٠)، وجاء عن غيره من الصحابة.

والله ﷻ وملائكته: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ**»[(١)]، فلا يفوتك الأجر، صلاة الله عليك، وصلاة ملائكته الكرام البررة عليك، لا يفوتك، فلا تزال الأمة بخير -كما جاء في حديث «المسند»[(٢)]: «**لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا أَخَّرُوا السَّحُورَ، وَعَجَّلُوا الْفِطْرَ**».

وجاء عند الطبراني، وذكره السيوطي في «الجامع الصغير»، وصحَّحه الشيخ ناصر، رحمهم الله جميعًا، قال ﷺ: «**ثَلَاثٌ مِنْ أَخْلَاقِ النُّبُوَّةِ: تَعْجِيلُ الْإِفْطَارِ، وَتَأْخِيرُ السُّحُورِ، وَوَضْعُ الْيَمِينِ عَلَى الشِّمَالِ فِي الصَّلَاةِ**»[(٣)]، هذه من أخلاق الأنبياء، تعجيل الفطر، وتأخير السحور من أخلاق الأنبياء، فينبغي لنا -معاشر الأحبة- ألا نُفَرِّط في ذلك.

ومن بركة السحور: أنك تقوم صلاة الفجر، هذا من بركته، إذا أَخَّرت تقوم لصلاة الفجر، ما تفوتك الفجر، قال ﷻ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة:١٨٧].

فالذي يتبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود ما هو أدرك الفجر! بعد السحور يقوم بعدها مباشرة إلى الصلاة، فينبغي للمسلم أن يحرص على هذا الأمر، وألا يتساهل فيه.

[٧] **ومن [الفضائل] أيضًا: استحباب أن يكون السحور على التمر، أو في السحور تمرًا**، الذي ما يقدر لا بد من المفطَّحات، ولا بد من الكبسات، ولابد من المضغوط، ولابد من شيخ المحشي، ولا بد من كذا، ولا بد..، أنواع الطبخات في بلدان العرب والمسلمين؛ فليكن في سحوره شيء من التمر، ليكن في سحورنا -يا أحبة- شيء من التمر.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١١٠٨٦)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٦٨٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢١٥٠٧).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير برقم (١٠٨٥١)، وفي الأوسط برقم (١٨٨٤)، والسيوطي في «الجامع الصغير» برقم (٥٣٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٠٣٨).

فإنَّ رسول الله ﷺ يقول: «**نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤمِنِ التَّمْرُ**»، خرَّجه أبو داود بإسناد صحيح، وابن حبان، والبيهقي، وغيرهم(١).

فالتمر طعام مبارك، فيه من الخير والبركة ما لا يوجد في سواه من الأطعمة؛ مِن ذلك أنه يحفظ عليك مادة اللعاب طول النهار في مادته الجلوكوزية هذه، فأنت تحتاج إلى قراءة القرآن، ولذكر الله -تبارك وتعالى-، والتمر فيه هذه المادة فيبقى الفم والغدد اللعابية غنية باللعاب، فينبغي للمؤمن ألا يتغافل عن التمر إما سحورًا، أو في سحوره، ليكن في آخر سحوره التمر، ويا حبَّذا التمر لو كان معه لبن طيب أجمل وأجمل.

فالشاهد: التمر مطلوب لهذه النصوص التي وردت فيه.

[٨] **ومن هذه المستحبات أيضًا للصائمين: الحرص على الدعاء عند الإفطار**؛ لما تقدَّم من الأحاديث في أنَّ دعوة الصائم عند فطره ما ترد، هذا نُنَوِّه به لأنَّ كثيرًا من الناس إذا بلغ غاية الإجهاد في وقت الإفطار عند الأُكُول تذهب العقول، فينسى أن يطلب ربه -تبارك وتعالى- من خيري الدنيا والآخرة، فلا ينسى الدعاء عند الإفطار، فينبغي للمؤمن ألا يعجل إلى الأكل أو على الأكل والشرب وينسى الدعاء الذي ثوابه عند الله عظيم، وعليه أن يسأل الله في هذا الدعاء الجنة، ويتعوذ به من النار، فإنَّ هذا أعظم ما يطلبه المؤمن ويرجوه، وأعظم ما يخافه المؤمن ويحذره؛ نعني سؤال الجنة والتعوذ من النار، أعاذنا الله وإياكم ووالدينا وأحبابنا جميعًا منها بمنه وكرمه، هذا ولا أطيل عليكم، عند هذا نقف، وبه نكتفي، والله أعلم، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد».

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم (٢٣٤٥)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٨/ ٢٥٣) برقم (٣٤٧٥)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٩٨) برقم (٨١١٧).